



البروفيسور انطونيو دياز فارينها استاذ بجامعة لشبونة
واستاذ بمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بلشبونة أيضا
وهو أحد العلماء البرتغاليين المهتمين بالدراسات الشرقية
وهو يقدم في هذه الدراسة وجهة نظر برتغالية عن عصر
الاكتشافات البرتغالية في الخليج والمحيط الهندي وقد
حرصنا على نشر هذه الدراسة في اطار مجموعة البحوث التي
نشرتها الوثيقة وتنشرها حول الموضوع حتى تكتمل بذلك
وجهات النظر حول هذا العصر .
«الوثيقة»

تسكن الشعوب التي تعتبر عربية في ايامنا هذه على مسافة واسعة
من الاراضي تمتد من شاطئ المحيط الاطلسي الى حدود ايران الغربية
ومن جبال طوروس الى مناطق السودان الوسطى والجنوبية . وتنقسم

فی عصر الکشف لہر تغالیٰ

ALVA 71

هذه الاراضى بفوارق شاسعة : فمن جهة هناك اكبر الصحارى القاحلة المعروفة على وجه الارض ، ومن جهة اخرى ثمة مناطق خصبة غاية الخصب بما فيها سهول المغرب الغربية ووادى النيل والاقطار ما بين النهرين (دجلة والفرات) وبعض الاودية التى تقع فى لبنان وسوريا وواحات مشهورة متناثرة فى الصحارى جعلت الشعراء العرب يقارنونها بالجنة سواء فى الدنيا او فى الآخرة ..

هذا الشعب سياسيا وعسكريا فهي جوهر الحضارة التركية الاسلامية التى عاشت تحت رعايتها الاقطار المذكورة اعلاه حتى انهزام تركيا فى الحرب العالمية الاولى وانتصار وعي العرب القومى مما شكل الكيانين العربي والاسلامي على حالهما الراهن ..

غير ان حضارة الاسلام التقليدى او الهيمنة العربية الاسلامية اصبحت تمر بمرحلة من الانحدار فى وقت بدأت فيه اوروبا الغربية حملة توسعية نشيطة ارتدت شكلها الاوضح فى الاستكشاف البرتغالي كما لاقت تكريسها فى الاستعمار الاوروبى المعاصر . وعند اختتام ذلك العصر التاريخي اعطت طاقة العرب الابداعية صورة لعظمتها فى شخصية جوهريه هي - ابن خلدون - . وفى مؤلفاته المتعلقة بتاريخ العالم وتاريخ البرابرة (كتاب العبر) قام ابن خلدون بأحد التحاليل الاكثر واقعية التى كتبت حول سلوك البشر وعقائدهم واختياراتهم وصيرورة الانسانية ..

فى اوائل القرن الخامس عشر استولت على حكم العرب أسر ملكية

وتعتبر شعوبا عربية الشعوب التى لغتها الأم هى اللغة العربية وتنسب الى الثقافة ذات التعبير العربى . اما حياتها الدينية المتخذة اعتبارا من القرن السابع فكانت اسلامية عادة وهذا بعد نزول القرآن على النبى محمد ﷺ وبعد انتشار الاسلام والثقافة العربية بشكل سريع مما ادى الى تكوين منطقة واسعة لاقت تعبيرها الثقافى الخاص - اى العالم العربى الحالى - ومنطقة اخرى اوسع من هذه تسترشد فى حياتها الدينية بنصوص الشريعة حيث يمتد تأثير الاسلام على العادات والقيم الخلقية واللغة واحيانا على التضامن السياسى الذى يذكر بهذا الصدد - وهذا كله فى العالم الاسلامى المعاصر ..

وكثيرا ما يسمى العصر التاريخي الاول للعرب بحضارة الاسلام التقليدى (الكلاسيكى) او حضارة الاسلام او الاسلام فحسب ، حيث يمكن ان تشير هذه الكلمة الى الواقع الدينى - وهو الاسلام - او الحضارة ذات التعبير العربى التى استغرقت من القرن السابع الى القرن الرابع عشر حينما حلت محلها حضارة فضلت التعبير التركي وتبعت تطور

مستقلة وفي المغرب على الاخص يذكر بنو مرين من اصل بربري واضح . كما شهدت المغرب تجزؤ السلطة المركزية وتكاثر الطوائف والاولياء - الصوفية والجمعيات الدينية والمرابطين - حيث لعب الجميع دورا مزدوجا : من جهة وفي الامد القريب حدث انحطاط في السلطة وسقوط الاسرة الحاكمة ، وفي الامد الأبعد تم ابدالها في الحكم وتقوى الدين بشكل خاص مع تكاثر الزوايا والمعابد مما كان دليلا على اشتداد التمسك بالدين واعادة ازدهاره ، الشيء الذي كان من شأنه ان يؤدي الى الوحدة السياسية من خلال الجهاد او اثبات الكيان الحضارى المغربى ..

وفي القرن الخامس عشر كان المماليك يمثلون السلطة العربية في الشرق خاصة وعاصمتهم القاهرة ، رغم ذلك لم تزل اراضيهم تتجزأ اكثر فأكثر امام توسع القوات التركية .. ومن الجدير بالذكر ان سلطنة عمان وغيرها من السلطنات الصغيرة كانت تقوم بتجارة وسياسة نشيبتين تجاه الاقطار الغنية بما فيها افريقيا الشرقية . وكان الكثير من العرب يرحلون عبر مناطق المحيط الهندى كلها منسجمين انسجاما متزايدا مع السلطات السياسية الاسلامية في الاقطار الاسلامية مشجعين تشجيعا دائما على اقرار الثقافة ذات التعبير العربي وعلى تنميتها في الاقطار المذكورة .

وفي القرن الخامس عشر كان العالم الاسلامى يعيش فترة من التوسع هي مرحلة التوسع التركي الاسلامي . ومن الجدير بالذكر تطور حركة الشيعة في بلاد الفرس مع فقدانها التعبير العربى وانفصالها النهائي عن العالم العربى مؤكدة على اصلها الهند اوروبى الذى يعود الى ما قبل الاسلام وقد ظلت تحتفظ به طوال العصور اللاحقة . وفي القرنين الخامس عشر و السادس عشر قويت تبعية العرب للترك مع سقوط المماليك سقوطا نهائيا عام ١٥١٧م وانفصال الفرس القطعى عن القيم العربية حيث ساهم الشيعة مساهمة قيمة في ثقافة ولغة وتقاليد بلاد الفرس القديمة .

في هذه الفترة نفسها اضطر العرب الى التنازل عن قيادتهم للعالم الاسلامي سياسيا وثقافيا مما أدى الى نشوء حركات دينية وسياسية ذات طابع وطني وقومى واضح وكثيرا ما كانت معادية للاجانب وحريصة على الاحتفاظ بخصائصها مطبقة الدين الاسلامى على هويتها الخاصة ، كما تتميز هذه الحركات باسترجاع الطقوس القديمة والقدرة الابداعية والابتعاد عن المذاهب التقليدية . يعنى بتعبير آخر ان النظم الدينية الوطنية والاولياء والعقائد المحلية اصبحت كلها تمثل اهمية كبرى مطلقة تعكس القيم العليا . وبدأ الاسلام ينتشر في الشرق الاقصى

والسند قبل القرن الخامس عشر بقليل واعتنقه ابناء المناطق المذكورة على الفور مع اتخاذه شكلا خاصا بها ولائقا لها ، ولذلك عندما وصل البرتغاليون اليها في القرن التالي ناقلين دينا غريبا اجنبيا ومعاديا نوعا ما بطبيعته الحال تحول البرتغاليون الى عوامل تدعم نشر الاسلام كرد للفعل وذلك على الرغم من رغبتهم في ادخال المسيحية هناك . وكانت الدولة الاسلامية الكبرى في هذه المناطق وفي الايام التي نعرض لها هنا هي اندونيسيا .

تكونت البرتغال باعتبارها كيانا سياسيا وثقافيا يتمتع بالحكم الذاتي والاستقلال في القرن الثاني عشر نتيجة لحركة معقدة قامت بها اقوام اوروبا الغربية التي اصبحت تتنظم بقيادة زعمائها وذلك في نفس الفترة ، فكانت سلطتهم الشرعية تقوم على مبدأ الوراثة معتمدين في قوتهم على حاشية من الاصحاب الاقطاعيين كان امتلاكهم الارض وراثيا ايضا وهم الذين كانوا يقودون الجيوش بهدف الحصول على اراض جديدة لتوسيع عقاراتهم في صالح انفسهم وذريتهم وأتباعهم . وكانوا يسترشدون بالمذهب المسيحي ويشكلون عاداتهم على ضوء الاخلاقية المسيحية أيضا ويطبقون المبادئ الادارية والسياسية المتينة التي كانت قد تبلورت خلال عصر السلم الروماني الذي كان احد المثل العليا التي تطمح

اليها اغلب البلاد الاوروبية . وكانت حياة اوروبا الدينية في القرون الوسطى تتميز بمختلف اشكال التدين المسيحي بما فيها نظاما (كلوني) و (سيستير) الرهبانيين اضافة الى فصائل الفرسان الرهبان التي نشأت وازدهرت خلال الحروب الصليبية التي استهدفت فتح الارض المقدسة بدعم من سلطة روما البابوية كما تميزت بعبادة الشهداء المقدسين ورحلات الحج الى الاماكن المقدسة بما فيها (سانت ياغو دي كومبوستيلا) التي أصبحت حبالا سريا يربط بين الشمال الغربي من شبه جزيرة ايبيريا واوروبا الوسطى الكاثوليكية . وخلال القرون الطويلة من احتلال المسلمين لاراضي شبه الجزيرة كانت طريق (سانت ياغو) تغذي وفاء اهل هذه الاقطار لمذهب المسيح ..

ولما جاء (دون افونسو انريكش) واعيانا من النبلاء البرتغاليين يؤسسون مملكة لهم ولاهلمهم ويضمون اليها اراضي اخرى باستمرار فإنهم فعلوا ذلك باسم المسيحية الغربية ضد المسلمين ذوي الثقافة العربية الممتلكين لاكثر اراضي شبه الجزيرة وكان هذا قبل كل شيء نضالا بين الفصائل التي كانت تستهدف الحصول على الاراضي والثراء والنفوذ لانفسها ولاتباعها أكثر منه نضالا من أجل المسيح ، ولا يرتدي هذا الصراع شكل الخلاف الفكري الا عندما تحاول الاطراف